

دمية القصر

ارتبطه صاحب نظام الملك حرساً دولته لحسن خطّه وفَوز قِدحه من الأدب ووفور قسطه .
فلم تُنفِّسْهُ المُدَّة ولا نفعته العُدَّة حتى انتقل إلى جوار ربّه . ورأيتُ في
الخزانة النظامية بنيسابور ديوان شعره بخطّ يده كان المِعْرَض أحسنَ من لابسِه . وكانت
آثار بَنانِه مُغطّيةً لعَوَرات بيانه . فممّا زَتَفْتُهُ من قصائده قوله :
دُمىً تركُنَ فُوّادي دائماً وَلَـيْها ... لمّا تولّتْ بها أحداجُها عُصْبا .
يا ناقُ هل تدرين من سكنتُ ... وراءَ حِدْجِكَ إذ عالوا به القَتَبَا .
ومنها في المدح :

لما وَرَدْتُ أزال اللوح موردُه ... ونلتُ منه الذي قد كنتُ مُرتقِبا .
هَبَّتْ عليّ شَمالٌ من شمائلِه ... فأنشأتُ لي غماماً يُمطر الذّـهبا .
ورأيتُ في ديوان شعره هذه التجنيسات وما عليها طَلاوة ولا لها طَراوة ولا فيها حَلاوة :
لَعَمْرُكَ ما كَفَى بقُفْلٍ على الفتى ... ولا عابسُ وجهي إذا الضيفُ لاقاني .
ولم تخْلُجِ الدنيا هَوايَ وحُسنُها ... بأخضر رِفّافِ الحواشي ولاقاني .
ولم يستطع أعوادَ عِزِّي مُرتقٍ ... ولا شعْثَ التشذيبِ نَبْعي ولاقاني .
وُجودي وإبقائي على قبّة العُلا ... هُما دونَ هذا الخلقِ أجمعَ لاقاني .
وله :

سَلَّيْ بنفسي عن الدنيا وبَـهَجتِها ... أني أرى فانياً منه تَـلَافانِ .
والصبرُ أحمدُ ما أُوتيتَ من خُلُقٍ ... ما كنتُ في شِدَّةٍ إلّا تَـلَافاني .
وله :

حَسبيّ اِمْ في الأمور وكَيْلاً ... إنه في الخُطوب نِعمَ المعينُ .
ثِقَتِي والرّضى بما قد قَضاهُ ... روضة طَلاّةٍ وماءُ مَعين .
ومن أعيان شعره قوله :

أقمتُ بأرضِ جَـيْلانٍ زماناً ... ولم يكُ ذاكَ منّي غيرَ جهلٍ .
فلم أحصِلْ على خيرٍ مُتَاحٍ ... سوى سحّ الغُيُوثِ وخَوضِ وَحْلِ .
أصادفُ كلاماً لامستُ رَطَباً ... كأني منه في زمنِ الفِطاحِلِ .
وله أيضاً :

أهاجتُكَ وُرقُ رُحْنٍ في الأيكِ وقَّعَا ... يَنذُحَنَ وما يُذْـرِـينَ للشَّـجْوِ أدمُعا .
فذكّرْنا العهدَ القديمَ وهجُنَنا ... وطَرَّـيْنِ قلباً كانَ بالغِـيّ موزعا .

عَلَّتْ فَذَنَّا يَهْتَرُّ تَذْدُبُ إِلْفَهَا ... فَأَبَكْتُ وَمَا تَدْرِي الْحَزِينَ الْمُفْجَّعَا .
تُذَكِّرُ أَيَّامًا مَضَتْ وَلِيَالِيَا ... وَشَخَّ شَبَابٍ بَانَ مِنْهُ فودَّعَا .
وله يهجو بوَّابًا لبعض الكبار :

صارَ ذا البوَّابُ مَحْنَه ... مَا نَرِي مِنْ غَيْرِ إِحْنَه .
كلَّما جئتُ كَأَنِّي ... عِنْدَهُ صَاحِبُ طِنْنَه .
مُؤَمَّـةٌ عَنْ قَوْلِي فَلَمْ يَأْ ... ذَنْ أَصَمَّـةٌ أَذْنَه .
وله أيضًا :

أَقْـوَعْدُنِي عَنْكَ عَارِضٌ عَرَضًا ... طَوَّـقَنِي فِي مَبِيتِي الْمَضَضَا .
مَا قَرَّـجَنِي عَلَى الْفِرَاشِ لَهُ ... كَأَنَّ حَشَوَ الْفِرَاشِ جَمْرُ غَضَا .
وشرُّ حَالٍ لَمَنْ تَوَمَّلْهُ ... حَالُ غَرِيبٍ يُكَابِدُ الْمَرَضَا .
وله أيضًا :

حَاشَا لِعَهْدِكَ أَنْ يَكُونَ ذَمِيمًا ... وَلِمَنْ أَحَبَّكَ أَنْ يَكُونَ مُلِيمًا .
إِنِّي أَرَى سَفَهَا تَسْرُّعَ عَازِلِي ... وَأَرَى الْهُوَى خَطْبَاً عَلِيَّ ذَمِيمًا .
وَأُنْشِدُنِي الشَّيْخَ أَبُو عَامِرٍ الْجُرْجَانِي لَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ أَوَّلُهَا :

سَقَى خَدَّيْ دُمُوعِي يَوْمَ سَارُوا ... بِمَاءٍ فِي الضُّلُوعِ لَهُ شَرَارُ .
رَأَيْنَا الْجُودَ مِنْ كَفِّكَ عَيْفًا ... وَعِنْدَ سِرْوَاكَ شَاهِدُهُ ضِمَارُ .
وَشِمْنَا مِنْ يَدَيْكَ سَمَاءَ نَيْلٍ ... لِبَارِقِهَا عَلَى الْأُفُقِ اسْتِعَارُ .
تَرُودُ حَدَائِقًا كَاللَّيْلِ غُلْبًا ... تُنِيلُ وَمَا لَوَاعِدِهَا إِبَارُ .
أَسَمْنَا سَرَدَنَا فِيهِنَّ هَزْلَى ... فَجَاءَتْ وَهْيَ مُطَّـعَمَةٌ شِيَارُ .
نَزَعْنَا عُذْرَهَا ضُرًّا فَجَاءَتْ ... عَوَاصِي لَيْسَ يَضِيطُهَا عِذَارُ .

محمد بن بحر بن حَمْدٍ الْخَيْرِي